خطاب بقلم فيصل

محمد عمر توفيق

وزير المواصلات

كان (فيصل بن عبد العزيز) نائب جلالة الملك ـ كما هو معروف ـ بعد استقرار الحكم في الحجاز من بعد استقراره في نجد والاحساء وعسير ، وكنت موظفا من عام ١٣٦٢ هـ في ديوانه بمكة ، وفي الوقت نفسه مشغوفا بالادب حتى الهوس ، وحتى لا أخلو منه في عالم الوظيفة ايضا ، فالمخاطبات الرسمية ـ على سبيل المثال ـ كنت أضعها وكتابها ومن يوقعون عليها في ميزان الكلمة والعبارة وحسن الاداء والصياغة ٠٠

كان الادب هو الضوء الذى ألقيه على الاسماء والمسميات ، لاتبين ما تستحقه في نظرى من القدر والاعتبار ٠٠

ووضعت (فيصل بن عبد العزيز) في نفس الضوء ٠٠ لارى كيف هو فيه؟ وكنت أعرف مقوماته التي غدا بها فذا يلفت النظر بين الآخرين أيا كانت مستوياتهم ٠٠ واذا انصرف النظر عنه فما أسرع أن يعود اليه ، وكانه هو وحده الموضوع الذى يأخذ بمجامع النفس والاهتمام ٠٠٠ اترى الادب من مقومات شخصه الفذ ؟ هل يقرأ ويكتب بذوق من هو على شيء من مزاج الادب ؟

لقد اخذ يتحدث يوما في مجلسه بمكة عن جو الطائف ، وكان قادما منه لتوه في أيام الخريف التى يحلو فيها الطائف ، ويبدو جوه مناسبا لدغدغة الحب وشطحات الشعر والخيال !

واخذت اتابع حديثه فاذا هو رقيق كالجو الذى كان يتحدث عنه ، ولم يلبث ان سكت قليلا ثم قال كمن يضغط مشاعره في كلام موجز : شيء يغذى الروح

وهش وجدانى لما قال ولما فيه ولما يجر اليه من حوار طويل .

انن هو على مزاج أدبي في تذوق الكلمة .. بعد تذوق الحياة .

وذات ليلة وفي يده مجلة « المختار » التي كانت ، واحسبها ما زالت ، تصدر مترجمة الى العربية عن « الريدرز دايجست » وهو يلتهم سطرا بعد آخر وصحيفة بعد اخرى من المجلة ، وتخيلت المزاج الادبي على نحو ما فيمن يقرأ ويستوعب بمثل ما بدا عليه من شغف واستغراق .

وكنت أتابع شروحه وتعليقاته على المعاملات التى تقدم له من الديوان للتوقيع او لاعطاء امره عليها..وبالاخص ماكان ياتي بقلمه هو ، فلم ينقص بل زاد احساسى بقدرته على التركيز وسداد التوجيه بكلمات قليلة لاتصنع فيها ولا افتعال .

وظللت على هذه المتابعة او التفقد لملكة التعبير والبيان في شخص (فيصل بن عبد العزيز) فيأمثلة اخرى لاأذكرها الآن ، وانما أذكر يوما كان يتاهب فيه لرئاسة وفد المملكة الى احدى دورات هيئة الامم المتحدة وعلى جدول الدورة او في مقدمته قضية فلسطين ، وكان ذلك في اواخر الستينات الهجرية .

وكنت المدير العام للتحرير في المكتب الخاص بديوان سموه حينذاك ، واذا بخطاب مكتوب بخط (فيصل) مرسل الينا لنسخه وتوقيعه منه وتصديره عاجلا .

وقرات الخطاب بل اعدت قراءته في جو الامثلة السابقة وما ترمز اليه من ملكة البيان وموهبة التعبير عند (فيصل) .

ولم يهمنى الموضوع الا بقدر علاقته بالاسلوب ، ومدى استيعابه للتفاصيل والاشارات بالفاظ سهلة ، وعبارات كانها مختارة منسقة ، وهي مسودة كتبها بمرسام لا شطب ولا تعديل فيها الا ما لا يكاد يذكر ... انها لم تسلم من اخطاء نحوية ولكنها قليلة وعلى الاخص اذا قيست بنظائرها مما يحدث على اقلام بعض اساتذة الجامعة والقانون ..

وراقني أسلوب الخطاب وانه سهل يجذب ويؤثر ويشد النفس من السطح للاعماق وظللت الاحق نسخه على الآلة الكاتبة حتى انتهى ٠٠ وبعثناه للتوقيع ، وفكرت في الاحتفاظ بنسخة منه كأثر ادبي لا علاقة له بالسياسية أو باية رسميات ٠٠ ولم افكر في أخذ صورة فوتوغرافية لمسودة الخطاب التى بقلم (فيصل) ولعلها موجودة ضمن موجودات الديوان القديمة ان كانت لا تزال ٠٠ على ان التصوير الفوتوغرافي لم يكن نظاما دارجا في المكاتب كما هو اليوم ، ثم لم يدر بذهني الاحتفاظ برقم الخطاب أو بتاريخ تصديره ٠٠ ان لم يكن لتحديد الوقائع التي يتكلم عنها أو يرمز اليها الخطاب فلتكوين فكرة أدق عن الاثر الادبي لمن يريد البحث مع أخذ التاريخ والتطور بعين الاعتبار ٠

وطويت الاثر بين أوراقي ٠٠

وكان يتحدث ذات يوم في الاعوام الاخيرة عن بعض الوقائع التى اشترك فيها بما تختلف بعض تفاصيله عما سمعناه او قرأناه من قبل ٠٠

وحديث (فيصل) على اختلاف أنواعه وموضوعاته قمة بارعة في الاداء ، وبراعة الحوار ، والتخلص ، مع القدرة على الاقناع والاصماء باسلوب يحمل على القبول والامتثال حتى ممن لم يقتنع الى هذا الحد ! ، فانتهزت الفرصة ، وقلت له : ان ما نسمعه الآن منكم غير ما هو معروف ، وليت في الامكان ان تكتبوا مذكراتكم او ان تملوها املاء للتسجيل ، فانها على اهمية بالغة لمعرفة الحقائق وتصحيح الاخطاء ، فقاطعني بما معناه أنه لا يحسن الكتابة ٠٠ وتذكرت الخطاب الذى احتفظت بنسخة منه ، فقلت : بلى ٠٠ انك تحسنها ، ولدى دليل مادى على ما اقول ٠

قال : ما هو ؟

قلت : خطابا اعددت مسودته بخط يدك من قبل ثلاثين سنة ٠

وذهبت أبحث عن نسخة الخطاب حتى وجدتها ، ولم اجد فرصة ملائمة لعرضها عليه بين ظروفه ومشاغله الكثيرة التي كانت تملؤ نفسه ووقته في الايام الاخيرة حتى قد لا تملك مراجعته فيما هو أهم ! ثم صار الى رحمة الله ٠

وتفضل رئيس تحرير « الدارة » فدعاني الى المساهمة بشيء عن (فيصل) في هذا العدد الخاص بذكراه ٠٠

وظننت ان ذلك الخطاب من خير ما يصلح لذلك ، فهذا هو موجه الى يوسف ياسين « يرحمه الله » وكان رئيسا للشعبة السياسية بالديوان الملكي في تلك الايام واحسبه كان عضوا في الوفد الذى ترأسه (فيصل) الى دورة الامم المتحدة المشار اليها في هذا الخطاب :٠

« حضرة المكرم الشيخ يوسف ياسين »

« السلام عليكم ورحمة الله وبركاته : »

« لا أعلم ماذا اتخذ من الاجراءات فيما يتعلق بالاستعداد لاجتماع هيئة الامم المقبل في باريس ، ولكنى لم اسمع بشيء ، والموقف كما هو معلوم يتطلب جهودا جبارة ، سواء في الداخل ، او في الخارج ، اما في الداخل فانني اعتقد أن اليهود كعادتهم سينتهزون فرصة اجتماع الهيئة للقيام بأعمال يظهرون بها بمظهر المسيطر على الموقف حتى يحملوا العالم على الاعتقاد بانهم قادرون على تركيز انفسهم وتثبيت اقدامهم ، وأن العرب ليس لهم قدرة الا على الكلام والتهديدات ، مما يجعل الهيئات الدولية تسعى لتثبيتهم ، أو اقرار الامر الواقع فعسى ان تكون الجهات المسئولة عن تسيير دفة الامور تتنبه لهذه النقطة وتتخذ لها عدتها من الآن لئلا نفاجأ كما حدث في الماضي وتتحول مجهوداتنا لالقاء تبعات ما يحدث على بعضنا البعض هذا من جهة أما من الجهة الثانية فان العمل في المحيط الخارجي يحتاج الى المبادرة من الآن ، وياليت انه كان منقبل الآن ، وذلك يتطلب تهيئة حملة في الصحف الاوروبية وحملة دبلوماسية على الحكومات ، سواء بواسطة مبعوثيها في البلاد العربية ، او مبعوثين من البلاد العربية يستمر ضغطهم فور اجتماع الهيئة على الاقل ، وانا اعتقد أنه فات علينا وقت ثمين كان يمكننا استغلاله ولكن لا تزال امامنا فرصة يمكن العمل فيها ، فهل بذل شيىء من ذلك ؟ اما المسالة الثالثة والاخيرة فهي موضوع جدول اعمال الهيئة فهذا يوجد فيه اشياء يجب الاتفاق عليها مقدما ، فهنا أشياءتهم العرب مباشرة مثل عضوية مجلس الامن ، ومحكمة العدل الدولية ، وخلافها ، وهناك اشياءتهم العرب من حيث علاقتها ببعض بلاد لها علاقات مع البلاد العربية ، مثل قضية كشمير فيما لو عرضت وقضية حيدر اباد ، وما اشبه ذلك ، وهناك اشياء ثانوية يمكن المساومة عليها مع البلاد التى يهمها امرها فهل اتخذت في ذلك قرارات او توجيهات معينة ، ارجو ان لا يفوتنا الوقت ، ثم لا نجد فيما بعد سوى كيل الاتهامات لبعضنا البعض . »

« فهذه الاشياء ارجوك تخبرنى عما اتخذ فيها وعن بقية وجوه الموقف الحاضر . والسلام . »

انتهى خطاب « فيصل »

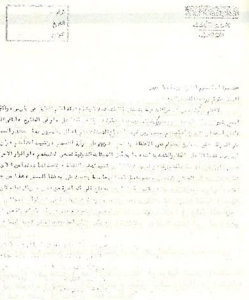

ولقد تعرض ، كما ترون للعرب واختلافاتهم ، وتبديد مجهوداتهم في الكلام والتهديدات ، وتبادل الاتهامات ، كما تحدث الخطاب عن قضايا ذهبت ، وعن ضرورة اتخاذ موقف موحد من العرب في مواجهة قضاياهم واحسب ان معظم العرب المعنيين في تلك الايام قد ذهبوا ٠٠ ولكن ما تحدث عنه الخطاب لم يذهب كله الا ما كان لمجهوداته هو « يرحمه الله » من تاثير كبير في علاجه وتلافيه ٠

ويفتح الخطاب افاقا ويثير تساؤلات من نوع : متى كانت دورة الامم المتحدة المقصودة فيه ؟ وما الذى كان على جدول اعمالها بالضبط مما يخص قضية فلسطين وسواها ٠ ؟ وما هي وجهات النظر التى كان العرب متفقين او مختلفين حولها وحول القضايا الاخرى ؟ ومن هم وماذا انتهت اليه تلك القضايا ، باستثناء قضية فلسطين التى ما زالت على جدول الامم المتحدة باسوا مما كانت عليه كثيرا في وقت الخطاب ، كما يلفت النظر لآرائه السديدة في طرق العمل والكفاح ، ولصلاحيتها الى اليوم والى ما شاء الله ٠٠

ان كل ذلك وما اليه صالح للبحث والاستقراء من اهل العلم السياسى ٠٠

غير ان الموضوع الاهم عندى في هذا الخطاب سيظل هو موهبة البيان او ملكة التعبير كجزء من مقومات (فيصل) وهو موضوع يضيق الوقت والمجال عن استيعابه واشباع القول فيه ، فعسى ان يتاح لى ذلك مستقبلا ٠٠

واللهم ارحمه ٠٠ وارحمنا »

محمد عمر توفيق